واحد كان بينها ما كان من فتن وحروب. ان كل مقاطعة، بل كل مدينة في سويسرا، تكاد تكون جمهورية مستقلة، وقوانين كل مقاطعة أو مدينة هي التي تشرف على حياة المواطن العامة وتحكمه أكثر من القانون الفيدرالي بل انه من سعة اللامركزية هناك يكاد الواحد لا يسمع باسم رئيس الاتحاد السويسري رأس الدولة السويسرية.

هذا كله صحيح وقائم ويكاد يكون مثاليا في عظمته ورقيه.

وسر ذلك كله ان هذا النظام جاء تلبية لحاجات وضرورات موضوعية. كما انه، في الوقت نفسه، استجاب لتطلعات الشعب السويسري كشعب واحد.

فالسويسري الالماني سويسري. والسويسري الايطالي سويسري، والسويسري الفرنسي سويسري. لا المانية الاول ولا ايطالية الثاني ولا فرنسية الثالث نقضت او ارادت أن تنقض سويسرية الجميع.

وانطلاقا من هذه الحقيقة الوطنية السويسرية، جاء النظام الاتحادي ليعطي هذه التجمعات كل ما تصبو اليه وتتمناه داخل أطرها ولكن بعد تثبيت الأولويات الوطنية في **حكم مركزي وحده صاحب الكلمة في كل ما يتعلق بجيش الدولة، مالية الدولة، سياسة الدولة الخارجية.** وكما هو الحال في سويسرا، كذلك هو في الولايات المتحدة وكل الدول الاتحادية المعاصرة.

فهل هذا هو ما تطرحه الجبهة اللبنانية على اللبنانيين عندما تقول «**بصيغة لا مركزية أو فيدرالية أو كونفيدرالية في اطار لبناني شامل واحد موحد، على غرار ما تتجه اليه الانظمة الدستورية الحديثة في العالم**»؟

إذا كان لا خلاف بين اللبنانيين حول جيش الدولة ومالية الدولة وسياسة الدولة الخارجية، فلا أعتقد أن أحدا يعارض بعدئذ البحث والاتفاق على صيغة اتحادية من أي نوع.

ولكننا نعرف كلنا، وأركان الجبهة قبل غيرهم، أين يكمن جوهر الخلاف بين اللبنانيين. انه خلاف سياسي قبل أي شيء آخر، يتناول **هوية لبنان السياسية وتطلعاته المستقبلية**، في خضم هذه الصراعات التي تشهدها المنطقة والعالم كله بين قوى التسلط والهيمنة والاستعمار وقوى التحرر المناضلة من أجل حريتها واستقلالها وبناء مجتمعاتها الانسانية العادلة.

ولعله من سوء حظ الجبهة اللبنانية أكثر من غيرها، أن تقوم «اسرائيل» بما تمثله من فكر عنصري ومن ممارسات استعمارية استيطانية في هذه المنطقة من العالم، وعلى حدود لبنان بالذات. لو كان هذا الكيان العنصري بعيداً، في افريقيا مثل «جنوب أفريقيا» مثلا، لهان الأمر قليلا، لان الموقف السياسي منه يكون نوعا من ترف التمسك بالمبادىء - بما فيها الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي يستلهمه أركان الجبهة - دون أن تحكمه عوامل سياسية تمس مصير الوطن بالصميم.